

المصحف في الروايات والآثار

<"xml encoding="UTF-8?>



تنازعنا معash المسلمين على مسائل الخلاف في الداخل ففرق اعداء الاسلام من الخارج كلمتنا من حيث لانشعر، وضعفنا عن الدفاع عن بلادنا، وسيطر الاعداء علينا، وقد قال سبحانه وتعالى : (وأطعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) وينبغي لنا اليوم وفي كل يوم ان نرجع الى الكتاب والسنة في ما اختلفنا فيه ونوحد كلمتنا حولهما، كما قال تعالى : (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) وفي هذه السلسلة من البحوث نرجع الى الكتاب والسنة ونستنبط منها ما ينير لنا السبيل في مسائل الخلاف، فتكون باذنه تعالى وسيلة لتوحيد كلمتنا.

المصحف

١- في اللغة

الصحيفة : التي يكتب فيها، والجمع صحائف وصحف وصحف، والمصحف والمصحف : الجامع للصحف بين الدفتين.

وقالوا في تفسير الدفتين، الدفة : الجنب من كل شيء وصفحته، ودفتا الطبل : الجلدتان اللتان تكتنفانه، ويضرب عليهما، ومنه دفتا المصحف، يقال : حفظ ما بين الدفتين، اي : حفظ الكتاب من الجلد الى الجلد. وبناء على ما ذكرنا، فإن المصحف : اسم للكتاب المجلد، وذلك لانه اذا كانت الصحيفة : هي ما يكتب فيها وجمعها الصحف، والمصحف : هو الجامع للصحف بين الدفتين، والدفتان : هما جلدتا الكتاب، فالمصحف في كلامهم بمعنى الكتاب المجلد في كلامنا.

وبناء على ما ذكرنا: ان المصحف اسم لكل كتاب مجلد قرآننا كان ام غير قرآن .

٢- في مصطلح الصحابة

استعمل المصحف بالمعنى اللغوي في روايات (جمع القرآن) حتى عهد عثمان . فقد روى البخاري عن الصحابي زيد بن ثابت ما ملخصه : ان الخليفة ابا بكر امره بجمع القرآن . قال : فتتبعـت القرآنـ اجمعـهـ، فـكـانتـ الصـحـفـ عـنـدـ اـبـيـ بـكـرـ حـتـىـ توـفـاهـ اللـهـ، ثـمـ عـنـدـ عمرـ فـيـ حـيـاتـهـ، ثـمـ عـنـدـ حـفـصـةـ بـنـتـ عمرـ.

وروى بعدها عن أنس ما ملخصه : ان عثمان عندما اراد ان يجمع القرآن ارسله الى حفصة : ان ارسلني اليها بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها اليك ...الخبر.

ومن الواضح ان الصحف والمصاحف ذكرها في الخبرين المذكورين آنفاً بنفس المعنى اللغوي : الكتاب المجلد .

واكثر تصريحاً مما جاء عند البخاري، ما جاء عند ابن أبي داود السجستاني في باب : جمع القرآن في المصحف من كتابه : المصاحف فقد روى فيه :

ا - عن محمد بن سيرين، قال : لما توفي النبي ⁹ اقسم علي ان لا يرتدي الرداء الا ل الجمعة، حتى يجمع القرآن في مصحف .

ب - عن أبي العالية : انهم جمعوا القرآن في مصحف في خلافة أبي بكر.

ج - عن الحسين : ان عمر بن الخطاب امر بالقرآن، وكان اول من جمعه في المصحف .

استشهدنا بهذه الروايات الثلاث لانها تدل على ان في عصر روايتها كان المصحف في كلامهم اعم من القرآن، فقد جاء فيها حسب التسلسل :

ا - حتى يجمع القرآن في مصحف.

ب - جمعوا القرآن في مصحف .

ج - وامر بالقرآن فجمع، وكان اول من جمعه في المصحف.

ولو كان المصحف لديهم هو القرآن لكان تفسير الروايات كالاتي :

ا - حتى يجمع القرآن في القرآن .

ب - جمعوا القرآن في القرآن .

ج - وكان اول من جمع القرآن في القرآن .

٣- في روايات ائمة اهل البيت (ع)

وقد جاء المصحف في روايات ائمة اهل البيت (ع) بنفس المعنى اللغوي لمدرسة الخلفاء، فقد روى الكليني في باب (قراءة القرآن في المصحف): الحديث الاول عن أبي جعفر الصادق (ع)، قال : قراءة القرآن في المصحف تخفف العذاب عن الوالدين، ولو كانوا كافرين.

وبناء على ما ذكرنا ثبت ان المصحف كان يستعمل في كلام الصحابة والتابعين والرواية بمدرسة الخلفاء ومدرسة اهل البيت (ع) ويراد به الكتاب المجلد، اي: ان المصحف استعمل في محاور تهمافي عصر الاسلام الاول في معناه اللغوي واشتهر بعد ذلك في مدرسة الخلفاء تسمية القرآن المدون والمخطوط بين الدفتين بالـمصحف .

٤- في اخبار مدرسة الخلفاء

وقد سمي في مدرسة الخلفاء غير القرآن بالـمصحف كالاتي : مصحف خالد بن معدان : روى كل من ابن أبي داود (ت ٣١٦هـ) وابن عساكر (ت ٥٧١هـ) والمزي (ت ٧٤٢هـ) وابن حجر (ت ٨٥٢هـ) بترجمة خالد بن معدان وقالوا: ان خالد بن معدان كان علمه في مصحف له ازرار وعرى .

فمن هو خالد بن معدان صاحب المصحف ؟ كان خالد بن معدان من كبار علماء الشام ومن التابعين، ادرك سبعين من الصحابة، ترجم له ابن الاثير (ت ٣٦٠هـ) في مادة الكلاعي، وقال : توفي خالد سنة ثلاثة او اربع او ثمان ومائة هجرية .

٥- اشتهر المصحف في كل ما كتب وجعل بين الدفتين : الكتاب المجلد

كان استعمال المصحف في ما كتب وجعل بين الدفتين - اي الكتاب المجلد - مشهوراً ومتداولاً لدى العلماء والباحثين بمدرسة الخلفاء، واليكم المثالين الاتيين لذلك : ١- عنون ابن أبي داود السجستاني من اعلام القرن الثالث الهجري في كتابه المصاحف كالاتي :

١- جمع ابي بكر الصديق القرآن في المصاحف بعد رسول الله ﷺ

٢- جمع علي بن ابي طالب القرآن في المصاحف .

٣- جمع عمر بن الخطاب القرآن في المصاحف.

ب - ومن المعاصرین قال ناصر الدين الاسد في كتابه مصادر الشعر الجاهلي : وكانوا يطلقون على الكتاب المجموع : لفظ المصاحف، ويقصدون به مطلق الكتاب، لا القرآن وحده، فمن ذلك ما ذكره....

ثم نقل خبر مصحف خالد بن معدان من كتاب المصاحف لابن أبي داود السجستاني.

٦- في مصطلح الامم السابقة

تسمية الكتب الدينية للامم السابقة بالمصحف : وكذلك سميت الكتب الدينية للامم السابقة بالمصحف كما جاء في طبقات ابن سعد بسنته : عن سهل مولى عتبة : انه كان نصرانيا من اهل مريس، وانه كان يتيمما في حجر امه وعمه، وانه كان يقرأ الانجيل، قال : فاخذت مصحفا لعمي فقراته حتى مرت بي ورقة، فانكسرت كتابتها حين مرت بي ومسستها بيدي، قال : فنظرت فإذا فصول الورقة ملصق بغراء قال : ففتقتها فوجدت فيها نعت محمد (ص) : انه لا قصير ولا طويل، ابيض، ذو ضفرين، بين كتفيه خاتم، يكثر الاحتباء، ولا يقبل الصدقة، ويركب الحمار والبعير، ويحتلب الشاة، ويلبس قميصا مارقاً، ومن فعل ذلك فقد بريء من الكبر، وهو يفعل ذلك، وهو من ذرية اسماعيل، اسمه احمد. قال سهل : فلما انتهيت الى هذا من ذكر محمد^٩ جاء عمي، فلما رأى الورقة ضربني وقال : ما لك وفتح هذه الورقة وقراءتها ؟ فقلت : فيها نعت النبي (ص) احمد، فقال : انه لم يأت بعد.

وهكذا وجدنا المصحف اسماعيلاً عاماً للصحف بين الدفتين، وان صح ما جاء في روایة المصاحف لابن ابي داود ان ابا بكر كان قد سمي القرآن بالمصحف، فان هذه التسمية لم تشتهر حتى عصر عثمان، كما يظهر من الخبرين اللذين نقلناهما آنفاً من صحيح البخاري، وانما اشتهرت تسمية القرآن بالمصحف بعد ذلك، وعند ذاك ايضاً لم تبق هذه التسمية منحصرة بالقرآن، بل سميت كتب اخرى في مدرسة الخلفاء ومدرسة اهل البيت (ع) بالمصحف . وكان منها مصحف فاطمة ابنة رسول الله^٩ كالاتي خبره .

٧- مصحف فاطمة (ع) ابنة الرسول (ص) :

جاء في الروايات ان فاطمة ابنة رسول الله (ص) كان لها كتاب اسمه المصحف فيه اخبار بالمغيبات . لقد جاء في بصائر الدرجات باكثر من سند عن الامام الصادق (ع) انه قال : لاقوام كانوا يأتونه ويسالونه عما خلف رسول الله (ص) الى علي (ع) وعما خلف علي الى الحسن : لقد خلف رسول الله (ص) عندنا ما فيها كل ما يحتاج اليه حتى ارش الخدش والظفر، وخلفت فاطمة مصحفاً ما هو القرآن ... الحديث.

اذن فقد كان لابنة رسول الله (ص) مصحف، كما كان لخالد بن معدان كتاب اسمه المصحف فيه علمه .

وان ائمة اهل البيت الذين انتشر منهم هذا الخبر نصوا على انه ما هو بالقرآن وليس فيه شيء من القرآن، بل هوا خبار بالحوادث الكائنة في المستقبل.

ومع الاسف الشديد افترى بعض الكتاب في مدرسة الخلفاء وقال : ان مصحف فاطمة عند اتباع مدرسة اهل البيت، قرآن آخر خالد ولا الكتاب لسيبوبيه .

٨- مصاحف الصحابة

انه كان لكثير من الصحابة مصاحف كتب كل منهم في مصحفه القرآن وما سمعه من رسول الله ﷺ في تفسير بعض آيات القرآن، اذا كان معنى مصاحف الصحابة في عصر الصحابة : القرآن المكتوب مع حديث الرسول في تفسير بعض آياته، كما هو الحال في تفاسير القرآن بالماثور مثل : الدر المنشور في تفسير القرآن بالماثور للسيوطى في مدرسة الخلفاء، والبرهان في تفسير القرآن لدى اتباع مدرسة اهل البيت (ع).

مثالان لمصاحف الصحابة

١- مصحف ام المؤمنين عائشة : رواها عن ابي يونس مولى عائشة انه قال : امرتني عائشة ان اكتب لها مصطفا وقالت : اذا بلغت هذه الاية فذني (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى)، فلما بلغتها آذنتها، فاملت علي : حافظوا على الصلاة والصلوة الوسطى وصلوة العصر وقوموا لله قانتين، قالت عائشة : سمعتها من رسول الله (ص).

٢- مصحف ام المؤمنين حفصة : عن ابي مولى حفصه انه قال : استكتبتني حفصة مصطفا، فقالت : اذا اتيت على هذه الاية، فتعال حتى املأها عليك كما قراتها، فلما اتيت على هذه الاية (حافظوا على الصلوات)، قالت : اكتب : (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى) [وصلة العصر] ومصطفا اخرى سوف نذكرها في ما يأتي باذنه تعالى .

٩- مصحف الرسول (ص)

لقد اوصى رسول الله (ص) اوصى الامام عليا (ع) ان لا يرتدي رداءه بعد وفاة الرسول ﷺ حتى يجمع الصحف التي كانت في بيت الرسول (ص) التي كتب عليها القرآن بامر الرسول (ص)، ولم تكن آي القرآن التي كتبت في تلك الصحف بداعا عما كتبها الصحابة في صحفهم مما تعلموها من لفظ الايات ومعانيها مما تلقاها الرسول (ص) جميعا عن طريق الوحي، بل لابد ان تكون مشابهة لمصاحف الصحابة في كتابة اللفظ والمعنى معا، ما عدا امرا واحدا، وهو ان كل صحابي كان يكتب مع ما يكتب من آي القرآن ما بلغه عن رسول الله (ص) في تفسير الاية، وكان رسول الله (ص) قد امر الامام عليا بكتابه كل ما يحتاجه المسلمون في تفسير الايات مما تلقاها عن طريق الوحي.

بناء على ما سبق كانت المصاحف في صدر الاسلام مثل كتب التفسير في عصرنا تشمل على القرآن وما بينه الرسول (ص) في تفسير الايات .

ولما اقتضت سياسة الخلفاء بعد الرسول ﷺ تجريد القرآن من حديث الرسول ﷺ جرى في هذا الشأن ما سنبيه في ما يأتي باذنه تعالى .

سياسة تجريد القرآن من حديث الرسول صلى الله عليه وآله

نزلت آيات في ذم سادة قريش الذين خاصموا رسول الله صلى الله عليه وآله وحربوه، وآيات أخرى في ذم قبائل بعض الصحابة من قريش، مثل قوله تعالى في سورة الاسراء: (والشجرة الملعونة في القرآن) في بني امية او افراد من الصحابة مثل قوله في سورة التحرير : (ان تتبوا الى الله فقد صفت قلوبكم وان تظاهروا عليه فان الله هومولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) (عسى ربه ان طلقن اعن يبدلها اعزوجا خيرا منك مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحتات ثيبات واعبكارا).

والتي نزلت في ام المؤمنين عائشة وام المؤمنين حفصة، في مقابل آيات نزلت في مدح آخرين، مثل آية التطهير في قوله تعالى في سورة الاحزاب : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرها). والتي نزلت في حق الرسول (ص) علي وفاطمة والحسن والحسين .

هذه الى كثير غيرها كانت تخالف حكومة الخلفاء الثلاثة، فرفعوا شعار حسبنا كتاب الله، وجردوا القرآن من حديث الرسول^٩، وبذا العمل به ابوبكر، وامر بكتاب نسخة من القرآن مجردة عن حديث الرسول (ص)، وانتهى العمل على عهد عمر، فبدأ عمله بمنع نشر حديث الرسول، وبعد وفاته وقعت الخصومة بين بعض الصحابة والتابعين وبني امية وعصبة عثمان، واخذ الخصوم يروون من حديث الرسول ما فيه ذم لعصبة الخلافة، وكانت بايدي الخصوم مصاحف فيها من بيان الرسول (ص) ما يستدل به الخصوم في مقابل عصبة الخلافة، فقام عثمان بتنفيذ شعار جردوا القرآن من حديث الرسول، واخذ نسخة المصحف المجردة من حديث الرسول (ص) من ام المؤمنين حفصة، واستنسخ منها عدة نسخ من المصاحف المجردة عن حديث الرسول (ص)، ووزعها في بلاد المسلمين، وجمع مصاحف الصحابة اللاتي كان اصحابها قد دونوا فيها النص القرآني مع ما سمعوه من بيان الرسول في تفسير آياتها وحرقها جميعا، فاستنسخ المسلمون مصاحف من تلك المصاحف المجردة عن بيان الرسول (ص).

وأصبح المصحف بعد ذلك اسما علميا للقرآن المجرد عن بيان الرسول^٩، ومع مرور الزمن لم يعرف المسلمين في القرون التالية ان مصاحف الصحابة كان فيها بيان الرسول (ص) مع النص القرآني .

وعندما حث المنصور العباسي في سنة ثلات واربعين بعد المائة من الهجرة علماء المسلمين على تدوين العلوم، وكتب المتخصصون منهم بعلوم القرآن مع بيان آياته كما كان عليه الامر على عهد الرسول (ص)، سمي المصحف الذي دون فيه القرآن مع بيان آياته بالتفسير، كما مر بيانه .